الباحثة: زينب لخضر جامعة البليدة 2 علي لونيسي

نضال المرأة التيارتية في الثورة التحريرية
(المجاهدة مريم مخطاري أنموذجا)

ملخص:

تعتبر المرأة الجزائرية خلال القرن التاسع عشر مثالا للشجاعة والتضحية والبطولة، سواء كانت فدائية أو مسبلة أو مناضلة، فقد قامت بواجبها أحسن قيام، ونهضت بمسؤولياتها بصمود وإخلاص، إذ تخطت درب النضال بشكل تلقائي على ضوء توجيهات وعمل الجبهة في الطريق الصحيح من أجل حريتها،فقد سلكت المسلك الحقيقي في امتحان عسير لقدرتها ووطنيتها، وواجهت المصاعب في الجبال والمدن، وخاضت بعض المعارك، وعالجت المرضى وسهرت على راحتهم وهذا ما لمسناه في شخصية المجاهدة مريم مخطاري.

Résumé :

Les algériennes sont considérés comme au XIXe siècle, un exemple de courage et de sacrifice et d'héroïsme, si son fermer croisade activement ou ou, le meilleur a fait son devoir et sont acquittés de leurs responsabilités fidèlement et avec constance, traversé l'allée luttent automatiquement à la lumière de la direction et le travail de l'avant dans la bonne voie pour sa liberté, elle a foulé une attitude réel examen difficile leur patriotisme et rencontré des difficultés dans les montagnes et les villes et a combattu des batailles et guéri les malades et est resté jusqu'à sur leur confort, qui se bat caractère Meriem mokhtari.

مقدمة : كان للمرأة نصيب هام في العمل الوطني بالجزائر، إذ تعتبر عنصرا أساسيا ومهما إلى جانب الرجل، فهي لم ترى وجه المستعمر بإعجاب بل على العكس قاومته وأثبتت وجودها، وليس هذا فحسب بل لما اندلعت الثورة التحريرية زاد صيتها وأصبحت جزء منها، فإزاء الواقع الجديد الذي فرضته الثورة على الجميع في مواقعهم وسلوكهم وتعاملهم مع الأحداث استلزم عليها أن تضطلع بواجبها في العمل الثوري،

وأن تتحمل كأم وأخت وزوجة مشاق وأتعاب حرب التحرير، وخاصة في الحفاظ على تماسك الأسرة.

فالمرأة بولاية تيارت كشقيقاتها قامت بأدوار كبيرة ومتنوعة رغم أنها كانت تحت وطأة الاستعمار، تعاني الجهل وتعيش حالة من الحرمان، إذ أنها لم تبرز للوجود بصورة واضحة نظراً للتحفظات والعادات السائدة في المنطقة بصورة عامة وفي العائلة بصورة خاصة، فالمجاهدة مريم مخطاري دافعت عن الوطن وعن الشعب، وكونت شخصية رفضت من خلالها المهانة والاستسلام وفضلت الاستقلال.

- فمن هي مريم مخطاري؟
- وماهي أهم الدوافع والأسباب التي تركتها تلتحق بالثورة؟
- وفيما تمثلت أهم أعمالها وانجازاتها ؟
- وكيف ساهمت في تفعيل الحركة الثورية؟

1-مولد ونشأة المجاهدة مريم مخطاري:

ولدت مريم مخطاري [1] (جريدة أصداء تيارت، وهران،ص:05.)، الملقبة" بثورية "يوم التاسع عشر من ديسمبر عام 1938م بتيارت،أبوها السيد مخطاري كباش ولد الطاهر الذي عرف بالسخاء، كان بيته منارة للفقراء واليتامى رغم تواجده بحي جل قاطنيه معمرين، ترعرعت مريم وسط عائلة محافظة والتحقت بمقاعد الدراسة سنة 1944م بمدرسة الأهالي، لم يسعفها الحظ لإتمام دراستها وبدأت تتردد على جامع المدرسة بتيارت. [2] (جريدة أصداء تيارت، وهران،ص:05.)

في سنة 1952م التحقت بمدرسة تعليم الخياطة التي كانت تشرف عليها السيدة قورص [3] (مخطاري مريم، الجزائر،ص:14)، كما بقيت مع مجموعة من البنات هناك واكتسبت معهم حرفة يدوية، فكانت معظم الأعمال التي يتم انجازها تعرض في آخر السنة في المعرض وأحيانا تباع بأثمان باهضة، وليس لهن الحق فيها، فقد كانوا يستغلونهن استغلالا مباشراً. كل هذه الظروف كانت تزيدها رفضا للاستعمار من

جهة ومن جهة أخرى تحفزها للتصدي لهذا الظلم [4] (مقابلة تحت عنوان شهادة مخطاري مريم حول الثورة، تيارت،2012م.)

وما أثبت ذلك تأثرها بشخصية والدها من خلال مزاولتها للدراسة بمدرسة جمعية العلماء المسلمين. فاستمرت حياتها على تلك الحال إلى أن علمت في يوم أن هناك رجالا قد انتفضوا ضد المستعمر وأعلنوا حربا عليه من أجل استرجاع كرامة الشعب الجزائري، حينما صارت الأخبار تتواتر إليها عن عمليات كان المجاهدون يقومون بها،وفي إحدى الأيام اتجهت إلى غرفة والدها إذ بها ترى شيئا مدهشا، فكان والدها جالسا وبيده رصاصات وأمامه مجموعة من الأسلحة، لقد نسي باب غرفته مفتوحا وكان من عادته إغلاقه حتى لا يكشف أمره. [5] (مقابلة تحت عنوان شهادة مخطاري مريم حول الثورة، تيارت، 2012م.)

2– البوادر الأولى لالتحاقها بالثورة:

كانت البوادر الأولى لالتحاق مريم مخطاري بالثورة عن طريق ابن خالتها كادري[6] (مخطاري مريم، الجزائر،ص:15)، الذي كان له علاقة بالثوار، لكن الدافع المهم الذي لبّ عزيمتها هو وفاة أخوها صحراوي الذي كان يقضي معظم وقته في الصيد مع المعمرين الفرنسيين، بالرغم من ذلك كانت له الرغبة في الالتحاق بصفوف الثورة وهذا ماذكرته مريم مخطاري، حيث انه في جانفي 1956م خرجت هي وعائلتها لزيارة ضريح سيدي عبد القادر قنجال بتاقدمت، وكانت لهم الفرصة في التعرف على بعض جنود جيش التحرير الوطني، فعند تقديم أخيها مخطاري صحراوي الماء لأحد الجنود ظهرت بندقيته من تحت جلابيته، والأمر الذي دل على صلته بهم حين طلب من أبيه شراء له بندقية صيد، لكن الموت وقف عائقاً أمام رغبته. [7] (مخطاري مريم،الجزائر،ص:15.)

مازاد من عزيمة مريم مخطاري على الالتحاق بالثورة إعجابها بعمل ابن خالتها علي قيطون[8]

.(berre abdelkader,2006 ,p :09) الذي اغتنم الفرصة للالتحاق بإخوانه المجاهدين، وبعدما تأكدت قيادة جيش التحرير الوطني من قدراتها وعزيمتها تم قبولها ضمن صفوفهم، وبدأت مسيرتها مع مصطفى لقرع الذي توجهت معه نحو عين كرمس مروراً بدوار الدهالسة وبالتحديد مزرعة سي مصطفى الذي أحسن ضيافتهم، ليتوجهوا بعدها نحو "اللساسفة" قرب سعيدة بالمنطقة السادسة أين التقت بسي عبد الخالق الذي جدد من عزيمتها في التجنيد من خلال إتيانه بمصحف وطلب منها القسم بعهد الثورة، وأوصاها بأن لا تبوح باسمها الحقيقي، وكتجسيد لمصير الخيانة آتها بسكين ذبح به خائن وأمرها بغسله، فأدركت وقتها أن عاقبة الخيانة وخيمة[9] (مخطاري مريم، الجزائر،ص ص:17-21).

أما بالنسبة للتدريب العسكري، فكان سي عبد الخالق يشرف على تعليمهم فنون الرماية من تقنيات التصويب. فكان يضع علب المصبرات المختلفة الأحجام ويريهم كيفية التصويب، ووضع البندقية على الكتف وضرورة حبس الأنفاس قبل إطلاق النار، ثم كيفية الزحف على البطن مع حمل البندقية واستعمال المسدسات وكيفية تنظيف السلاح وتفكيك مختلف القطع والاحتياطات الواجب اتخاذها لكي يبقى السلاح صالح للاستعمال، ولهذا كان دور الجندية عظيماً بين صفوف المجاهدين. [10] (مقابلة تحت عنوان شهادة مخطاري مريم حول الثورة، تيارت،2012م.)

بعد اكتشاف أمر مخطاري مريم في شهر ديسمبر1956م، التحقت بجيش التحرير الوطني مرشدة بفصيلة[11] (مقلاتي عبد الله، الجزائر،2008م،ص:466.) سي المجدوب [12]

.(Une moudjahida pas comme les autres,2007)

إذ شاركت في عدة معارك من بينها معركة " وادي الكفاح " التي تعود أحداثها إلى سنة 1957م أثناء قيامهم بالعمليات التدريبية، وعلى إثر وشاية فاجأهم العدو، وما إن نزلو حتى انهال عليهم الجنود بالرصاص، وانتهت هذه المعركة بدون خسائر في

الأرواح، وتعتبر أول مشاركة لمريم مخطاري ضمن صفوف المجاهدين. [13] (مخطاري مريم، الجزائر،ص:38 ،39).

وكرد فعل على ذلك همت القوات الفرنسية بحرق المكان الذي دارت فيه المعركة، هذا ما أثر على نفسية المجاهدة مريم التي مرضت وتم نقلها إلى " تافرنت " التي كان بها مركز للتمريض تحت إشراف [14] (مخطاري مريم، الجزائر،ص:38، 39.) الحكيم يوسف الدمارجي [15] (مخطاري مريم،الجزائر،ص ص: 53، 54، 148.)، الذي يعتبر رمز لعنصر نادر تخلى عن الدنيا ونعيمها من أجل أن يرتبط بالجزائر والحرية والذات الحرة، ففي زمن الاستعمار سجل فعالية التحدي للأمراض بالعلاج والصبر. [16] (رويبي صالح، الجزائر،2009م،ص:08.)

3– أعمالها وانجازاتها داخل السلك الشبه الطبي:

التحقت مريم مخطاري بالسلك الشبه الطبي تحت قيادة يوسف الدمارجي[17] (جريدة أصداء تيارت، وهران،ص:05.)، بناءً على طلب هذا الأخير، وبعد موافقة سي المجدوب، صار لمريم مخطاري مهام جديدة مع الفريق الطبي رفقة زوبيدة ولد قابلية [18] (مخطاري مريم ،الجزائر، ص:54، 55.)، فكانت عملية إسعاف الجرحى تتم في خيمة منصوبة بالأعمدة ملفوفة بأغطية بيضاء ومصنوعة من وبر الإبل، كما لا تزيد المدة التي يبقون فيها عن يومين، وهذا نظراً لتحركات العدو التي كانت تترصدهم أينما حلوا وحيثما وجدوا. [19] (بورحيم حسين، 2012م،ص:12.)

كما لم يقتصر عملهم على الاهتمام بالمصابين من الجيش ، بل امتد ذلك إلى أوساط الشعب من خلال توليد النساء ومعالجة الأطفال، وهذا ما ظهر لهم عندما عاينوا أولاد بخالد، حيث انتشر مرض السل، التيفيس، القرع والسيفيليس، إذ وجدوا أطفالا قد نال منهم داء التيفيس من جراء الفقر، وكإجراء أولي بدأوا بحلق رؤوس الأطفال ذكوراً وإناثا فوجدوها مليئة بالقمل، وتفاديا لذلك قاموا بفرك جلدة الواحد منهم بالحبيلة والصابون حتى ينزف الدم ثم وضعوا دواء أحمر معقم مستعملين الضمادات، وليس هذا فحسب بل تعدت ذلك حملات التوعية والنصح والإرشاد،

إذ تم توزيع على بعض العائلات المتضررة علب المنظفات المتمثلة في قطع الصابون وماء جافيل. [20] (مقابلة تحت عنوان شهادة مخطاري مريم حول الثورة، تيارت ،2012م.) بعد مدة من عمل المجاهدة مريم مخطاري في المجال الطبي، تقرر تحويلها من المنطقة السادسة إلى المنطقة السابعة، وفي طريقها إلى المنطقة تلقت نبأ استشهاد يوسف الدمارجي [21] (Berrebiha abdelkader,2001,07.)

فهي بذلك تكون قد تذكرت وصيته لها التي قالها يوم التاسع عشر من شهر ديسمبر عام 1957م بحضور جمع من المجاهدين:« ثورية أوصيك أن تروي كل ما رأيته وعيشناه لعائلتي...» [22] (جريدةأصداء تيارت، وهران،ص:05).

4- القاء القبض على المجاهدة مريم مخطاري: في الثالث من جانفي عام 1961م وفي مكان اسمه جبيل[23] (مقابلة تحت عنوان شهادة مخطاري مريم حول الثورة، تيارت، 2012م.)، وتحديداً بمركز بخاوة عطا الله[24] (مخطاري مريم، الجزائر،ص:288.)، كانت مريم مخطاري على حالة متدهورة من المرض، والأمر الذي زاد الحالة سوء قدوم العساكر الفرنسية إلى المنطقة للبحث عن أي أثر للمجاهدين، فإذا بمريم في قبضة المستعمر، وبعد أن مورست مختلف أساليب التعذيب على أهالي المنطقة اعترف أحدهم بأنها مجندة ضمن صفوف الجيش، نقلت بعد ذلك إلى أحد السجون بعين الذهب، أين تعرضت للضرب والاستنطاق، وهددوها باستعمال الكهرباء، فتدهورت حالتها أكثر وبطلب من طبيبها نقلت إلى مستشفى بتيارت إلى أن تحسنت حالتها، فأعيدت بعدها إلى السجن ،ومن ثم إلى غرفة التحقيق، حينها توالت عليها الأسئلة المحرجة، ولكن بقيت مصرة على عدم الاعتراف، بعد ذلك حولت إلى مركز عسكري بمكان يسمى "لاردوت" [25] (مخطاري مريم، الجزائر،ص:282، 293).

طال بها الألم في تلك الزنزانة فأخذت الملعقة وبدأت ترسم علم الجزائر وكتبت بعض العبارات المؤيدة لجيش التحرير الوطني، ومضت باسمها،فلما جاء الحراس بغية المراقبة لاحظوا ما كتبت، والذي أثار حفيظتهم هو إمضائها، فاعتبر أحدهم معنى

الإمضاء تحدي لهم فعاقبوها، ولم يبقى الأمر على ذلك بل مرّ عليها ضابط ونصحها بالتحكم في تصرفاتها والرفق بمصلحتها. [26] (مخطاري مريم،الجزائر،ص ص:282،293.)

توالت أحداث المجاهدة مريم مخطاري من سجن إلى آخر إلى أن استقرت بسجن يدعى " تيفشون" (قرب المدية)، الذي كان منطلقاً لحريتها، فبعد وقف إطلاق النار أطلق سراحها من خلال ركوبها في سيارة عسكرية أوصلتها إلى محطة قطار بالبليدة متوجهة إلى مدينة غليزان صوب مدينة تيارت. [27] (مخطاري مريم، الجزائر،ص ص: 296، 301، 305).

خاتمة:

لم يترك الاستعمار وسيلة إلا وطبقها ، ففي مدينة تيارت كغيرها من المدن شهدت ظلمه وطغيانه، وأمام ذلك برزت المجاهدة مريم مخطاري بكثير من الشجاعة، فاسمها الثوري " ثورية "، فهذا ما دّل على أن الثورة قاسمت معها اسمها، وليس هذا فحسب بل وقفت صامدة ضد الاستعمار فسارت في الجبال بدون خوف ولا تردد، وامتهنت التمريض فكانت رفيقة الدرب ليوسف الدمارجي، فقساوة الاستعمار صنعت منها امرأة ثائرة، فهي تتذكر أحداث الماضي وتسردها لجيل اليوم إذ تقول: ‹‹ لابد من حماية هذا الوطن لأنه ذكرى أجدادنا الذين كتبوا تاريخه بدمائهم...››

***قائمة المصادر والمراجع:**

1- لاتزال على قيد الحياة، ألفت كتاب عنوانه " سيرة مجاهدة "، يحتوي على المراحل التي مرت بها منذ انطلاق شرارة ثورة التحرير إلى غاية الاستقلال، استغرقت في كتابته أكثر من أربع سنوات، وبالرغم من مشقة الكتابة والبحث عن المعلومات وجمع الشهادات الحية تمكنت في الأخير من طبعه وهذا بفضل وزارة المجاهدين، يعتبر أول كتاب يصدر بالمنطقة، به شهادات ومعلومات جد مهمة تفيد الباحثين والقراء.

ينظر: جريدة أصداء تيارت، " سيرة مجاهدة، كتاب للمجاهدة ثورية "ع:01،وهران:د.ن،د.ط،د.ت،ص:05.للمزيد ينظر:

Mekechtall lella ,lieu de la mémoire héroique , horizons,mars,2008,p :19.

2- جريدة أصداء تيارت، المرجع السابق،ص:05

3- هي زوجة رئيس بلدية تيارت إبّان الثورة. ينظر: مخطاري مريم، سيرة مجاهدة، الجزائر: طبعة خاصة بوزارة المجاهدين، د.ط،د.ت،ص:14

4- مقابلة تحت عنوان شهادة مخطاري مريم حول الثورة، يوم الجمعة 30 ماس 2012م بتيارت، من الساعة 16:30 إلى الساعة 17:30 مساءاً.

5- المصدر نفسه.

6- اسمه قيطون عبد القادر ابن محمد وكباش الزهرة، من مواليد 05 أفريل 1928م. ينظر: مخطاري مريم، المصدر السابق،ص: 15

7- المصدر نفسه، ص:15

8- ولد في 10 فيفري 1936م، الملقب ب: " الطوالي "، صاحب العمليات الفدائية في تيارت، كان مجنداً ضمن صفوف الجيش الفرنسي، اغتنم فرصة زيارة أهله بتيارت للالتحاق بإخوانه المجاهدين بناحية غليزان. ينظر:

Berre Abdelkader,la moudjahida mokhtari meriem se Algérie ,mercredi31mai2006, 'souvient, le carrefour d p :09.

9-مخطاري مريم،المصدر السابق،ص ص:17-21

10- مقابلة تحت عنوان شهادة مخطاري مريم حول الثورة، المصدر السابق.

11- مقلاتي عبد الله، قاموس أعلام الشهداء وأبطال الثورة الجزائرية، الجزائر: د.ن،ط01، 2008م،ص:466.

12- اسمه طيب شيب الملقب بسي زكريا المجدوب، ولد في 14 أفريل 1933م بدائرة مغنية (تلمسان)، وفي سنة 1956م أصبح مسؤولا عن منطقة سعيدة وتيارت ومعسكر، استشهد في 05 فيفري 1960م بسيدي عبد الرحمان. ينظر:

Une moudjahida pas comme les autres, la nouvelle (infermation),27 aout 2007. 'quotiden algérien d Voir ,Berrebiha abdelkader,tiaret devoir de mémoire oublie si mejdoub, le jeudi 6 février '(afin que nul n 2003.

13- مخطاري مريم، المصدر السابق،ص: 38 ،39 .

14- المصدر نفسه، ص: 38،39 .

15- ولد في 22 أوت 1922م ببلدية مليانة ، ينتمي لعائلة ميسورة الحال، أنهى الدراسة الابتدائية بمسقط رأسه ، وفي سنة 1931م انتقل إلى الجزائر العاصمة لمتابعة دراسته المتوسطة، كما التحق بثانوية بن عكنون (عمارة رشيد حاليا)، ليطرد منها بعد أربع سنوات بسبب عبارة كتبها على جدار حائط الثانوية، فتقرر تحويله سنة 1935م إلى ثانوية بيجو بباب الواد (ثانوية الأمير عبد القادر حاليا)، ولما حصل على شهادة البكالوريا بجزئيها سنة 1940-1941م، التحق على إثرها بكلية الطب بجامعة الجزائر، لكنه طرد في نهاية 1942م، وفي سنة 1944م انضم إلى فرقة الكشافة الإسلامية، ونظراً للظروف الصعبة التي كانت تمر بها الجزائر خلال الحرب العالمية الثانية، قرر الهجرة إلى فرنسا لمواصلة دراسته، وهناك انضم إلى صفوف المنظمة السرية "لوس"، وفي 1952م عاد إلى أرض الوطن واستقر بمدينة تيارت التي استأنف فيها نشاطاته السياسية، توفي في 19 أوت 1958م. ينظر: المصدر نفسه،ص ص:53، 54، 148. للمزيد ينظر كذلك:

Khalida a, la ville se souvient de si hakim, el watan, lundi 19 aout 2002,p : 06.

16- رويبي صالح، "المئزر الأبيض ضد الاستعمار"،جريدة الشعب، ع: 14836، الثلاثاء24 مارس 2009م/1430هـ ،ص:08.

17- جريدة أصداء تيارت،المرجع السابق،ص:05

18- مخطاري مريم، المصدر السابق،ص:54، 55

19- بورحيم حسين، "المجاهدة مخطاري مريم الملقبة بثورية تؤكد نحن ذهبنا إلى الثورة وليس العكس" ع:2018م،جريدةالوصل،الثلاثاء6مارس2012م/1433هـ ،ص:12.

20- مقابلة تحت عنوان شهادة مخطاري مريم حول الثورة، المصدر السابق.

21- لقد كانت مريم مخطاري من المقربين للحكيم يوسف الدمارجي، فهي شهدت عنه الذكاء، فهو يعالج الأمراض المعدية بكل خبرة، كما امتاز بكرمه الواسع، وفي المقابل كان يكره الحرب وويلاتها "فثورية" لا زالت مشدودة بشخصية ذلك الرجل، إذ تؤكد من جديد أنه لا يأخذ وقتا للراحة والتمهل،كما طلبت منه القيادة الالتحاق بالقاعدة في المغرب إلا انه رفض ذلك،فهو كان لا يحب الأشخاص الذين يذهبون إلى المغرب، فكان يعتبرهم فارين حتى أنه كان يقول: " المحارب الحقيقي هو من يترك بصمته في ساحة المعركة...". ينظر:

Berrebiha abdelkader , docteur youcef damaerdji ,ou est la oranie , lundi 19 'tombe du médecin chahid , la voix de l février 2001,p :07.

جريدة أصداء تيارت،المرجع السابق،ص:22.05 -

23- يقع قرب جبل سيدي بوزيد غير بعيد عن قصر الشلالة. ينظر: مقابلة تحت عنوان شهادة مخطاري مريم حول الثورة، المصدر السابق.

24- من مواليد 1931م. ينظر:مخطاري مريم ، المصدر السابق، ص:288.

25- المصدر نفسه ،ص ص:282، 293

26- المصدر نفسه،ص ص:282 ،293 .

27- المصدر نفسه، ص ص:296، 301، 305.